الفصل الرابع
الوسطية في المعاملات

وأمَّا موقف الشرع في ميدان المعاملات، فإنَّه يختلف إختلافاً جوهرياً عن موقفه في كل من ميدان العقائد، وميدان العبادات، فالشريعة الإسلاميَّة هي التي أنشأت للناس صور التبادل والتعاون، والتعامل، ولكنَّها جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها فكان لها موقف منها، غير موقف الإنشاء والرسم، وغير موقف الإخبار والوصف، وذلك الموقف هو موقف الإقرار أو التعامل أو الإلغاء، وهو أسلوب الناقد المهذب، وهي لا نتدخل في هذا الميدان إلا بمقدار ما تحمي مثلها ومبادئها التي جاءت بها، ومن العدل والتيسير والرحمة ودفع أسباب التشاحن والبغضاء، وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة والتعاون على البر والتقوي، لا على الإثم والعدوان[1].

منهج القرآن في مسائل المعاملات

قال تعالى " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " (الأعراف /٣١-٣٢).

قال الشيخ مُحَمَّد مصطفي المراغي[2] (ت سنة١٣٦٤هـ) رحمه الله تعالى :

طلب الله ـ سبحانه وتعالى ـ التزين للمساجد يعرفه الناس في عباداتهم وزمانهم، كل حسبما يقدر عليه. وروي عن الحسن أنَّه ﷺ لبس أجود ثيابه، وكان يقول: " إنَّ الله جميل يحب الجمال" [1]

---

(١) مرجع سابق (ص/٣٨) للمدني.

(٢) صفات عباد الرحمن مجلة الأزهر المجلد (١٢) للشيخ الإمام مُحَمَّد مصطفي المراغي.

وطلب ـ سبحانه ـ الأكل والشرب من غير إسراف وتجاوز للحد، مع إلتزام حدود القصد والإعتدال، فإن الإسراف في الطعام والشراب مضر بالبدن، والإسراف فيها وفي غيرها مضيعة للمال.

والنهي عن الإسراف لا يقتصر على الطعام والشراب، بل يعم غيرهما، وفي الحديث: "كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإنَّ الله يحب أن يرى نعمته على عبده " (٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما شئت وإلبس ما شئت إذا أخطاك اثنان: سرف، ومخيلة.

والمخيلة: الخيلاء والإعجاب والكبر، وبين الله ـ سبحانه ـ إن الزينة في الدنيا والطيبات من الرزق للذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويشاركهم غيرهم فيها، ولكنها في الآخرة خالصة لهم لا يشاركهم غيرهم فيها.

وفي القرآن أيضاً:. " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ "

فقد نهى الله ـ سبحانه ـ عن ترك الطيبات تنسكاً وعبادة، وطلب عدم تجاوز الحد إلي الإسراف الضار بالجسد، والإسراف الضار بالمال، وطلب عدم الإسترسال في الشهوات من مطعم ومشرب وغيرهما، حتى لا تكون اللذات هي السهم الأكبر في

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٣٣/٤، ١٣٤، ١٥١، ٢٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد واللفظ له، كما رواه النسائي (٧٩/٥) كتاب: الزكاة باب الإختيال في الصدقة، والحاكم في " المستدرك " (١٣٥/٤)، واللفظ له من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه، عن جده، وهذا اسناده حسن.

الحياة، فإن للمؤمن في الحياة قصداً أسمى هو: العلم والمعرفة والعبادة، واكتناه سر الوجود، والإحسان إلى الناس، والنفع العام للجماعة، وإذا كانت اللذات مشغولاً بها إلى حد البحث والطلب والإنتظار والألم عند فقدها، كان ذلك صارفاً عن المقاصد السامية للمؤمن وقد أنكر الله . سبحانه . في الآية السابقة على من حرَّم زينة الله التي أخرجها لعباده، فإن التحريم والتحليل حق الله لا يشاركه أحد فيه، وحرم التشبه بغير المسلمين في اللباس، وذلك أن يلبس المؤمن ثوباً هو شارة مختصة بطائفة غير مسلمة، ففي الحديث الذي رواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن أبي النضر هاشم أخبرنا القاسم به قال ﷺ:" من تشبه بقوم فهو منهم "[1] رواه أحمد في المسند .

قال ابن كثير[2]

ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من الامور التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها. ا هـ.

ثمَّ أباح ما عدا ذلك على شرط القصد والإعتدال، وذلك هو الموافق للفطرة؛ فقد فطرت النفوس على الإستمتاع بالدنيا والطيبات من الرزق، وأعطي الإسلام بذلك البدن حقه، كما أعطى الروح حقه وقال ﷺ: " إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد" [3]

طلب القصد والإعتدال

وقد جاء في الحديث الشريف[1]:" الإقتصاد نصف المعيشة، وحسن الخلق نصف الدين "، وفي الحديث:" خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلي، وابدأ بمن تعول " [2].

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود وأحمد (٥٦٦٧) تحقيق : أحمد شاكر ،وهو حديث حسن: مشكاة المصابيح (٤٣٤٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٤٨/١).

(٣) تفسير الطبري (٧/٧).

وقال في الوصيَّة:" الثلث، والثلث كبير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس "[٣] .

هذا هو هدى القرآن لا يحرم الزينة والطيبات من الرزق، وينكر على من يحرم ذلك، كما تفعل بعض الأمم، وبعض الملل؛ لكنَّه يطلب القصد فلا يجيز المباراة في الزينة واللباس والحلي والمباني وغير ذلك، تلك المباراة التي خربت بيوتاً كثيرة عامرة بسبب المغالاة في الأفراح والحفلات وإقتناء أداة الزينة التي لا يقدر مقتنيها عليها وقد كانت هذه المباراة وتلك المغالاة سبباً في خروج الثروة إلى أيدي الشياطين، وكانت سبباً في ضعف المسلمين، وقد وصف الله سبحانه وتعالى عباده بأنهم إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان أمرهم بين ذلك قواما.

هدي السلف الصالح في مسائل المأكل والملبس

مالك ﷺ إمام الدين، وإمام في التقى، لبس الدقاق، وأكل الرقاق، وجلس على الوطي واتخذ حاجباً وعابه يحي بن زيد النوفلي فقال له مالك " قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ " (الأعراف /٣٢).

غير أن مالكاً تواضع فقال: إن ترك ذلك خير من الدخول فيه وربما كان الترك خيراً حتي لا يزيد الناس علي مالك فيسرفوا وهو قدوة، فيكون عمله سبباً في إسراف غيره.

---

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٦٥/٨).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه.

قال أبو جعفر الطبري [١] "ت سنة ٣١٠هـ " رحمه الله تعالى

ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السبيل إليه من حله ومن أكل البقول والعدس وإختاره على خبز البر، ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النساء.ا.هـ.

قال أبو الفرج ابن الجوزي [٢] " ت سنة ٥٩٧هـ " رحمه الله تعالى

"وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة [٣] ولا الدون[٤] ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً، وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنه رأى حُلَّة سيراء[٥] تباع عند باب المسجد، فقال لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: " إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة "،فما أنكر عليه ذكر التجمل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريراً.

هدي الرسول ﷺ في مسائل اللباس [٦]

وفي الرجوع إلى الهدي المحمدي تبصرة ونور وضياء وشفاء. فعن ابن عباس: لقد رأيت رسول الله ﷺ يلبس أحسن ما يكون من الحُلل، وقد لبس ﷺ الإزار والرداء ولبس الجبة والفروج، وهما ثوبان يشبهان القباء والفرجيَّة، ولبس الخميصة المعلمة

---

(١) تلبيس إبليس (٢٢٥) أبو الفرج بن الجوزي.

(٢) المرجع السابق (٢٢٦).

(٣) المرتفعة: الغالية الثمن.

(٤) الدون: الحقيرة.

(٥) سيراء: مصنوعة من الحرير.

(٦) زاد المعاد (١/١٣٧-١٤٠) لابن القيم الجوزية.

والساذجة، ولبس فروة مكفوفة بالسندس، وكان له جبة طيلسانية خسروانية لينة، وكان له بردان أخضران وكساء أحمر، وكان يحب الحيرة وهي ضرب من البرود؛ لكن غالب ثيابه وثياب أصحابه نسيج القطن والصوف والكتان فسنته ﷺ في اللباس أن يلبس ما تيسر على أن لا يكون نوعه محرماً.

وفي الحديث عنه ﷺ:" إنَّ الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته عل عبده ويكره البؤس والتباؤس "[1]

هديه ﷺ في مسائل الطعام والشراب

وكان يحب من الطعام الحلوى، وقد أكل الضأن والدجاج والجزور ولحم الحباري وطعام البحر، وأكل الشواء والرطب والتمر، وشرب اللبن خالصاً ومشوباً، وشرب نقيع التمر، وأكل القديد والدباء[2] والتمر بالزبد، وكان لا يشرب إلا النظيف العذب، ويحب البارد الحلو، وكان يجلب إليه الماء العذب من مسافة يوم أو يومين.

ولم يكن ﷺ في الطعام والشراب يرد موجوداً أو يتكلف مفقوداً وما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه.

هذا هو هدي القرآن والهدي المحمدي في تناول الطيبات، فمن تركها زهداً وتديناً وعبادة فلا حق له ومن أسرف في الزينة واللذات فلا حق له؛ ومن بخل على نفسه وعلى غيره وعشيرته فلا حق له؛ ومن اتبع " القوام" فهو من صفات عباد الرحمن الذين وصفهم الحق سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه أصحاب السنن.

(٢) الدباء: اليقطين ويطلق عليه في مصر " القرع " أو " الكوسة".

النهي عن الإسراف في الطعام والشراب

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الإسراف في الطعام والشراب فقد روى البيهقي[1]عن أنس قال: قال ﷺ:" من الإسراف أن تأكل كلما اشتهيت " وفي الجامع الكبير[2] للسيوطي روي الحديث بكلمة " كلَّما " ولكن في رواية أخري للبيهقي قال صلى الله عليه وسلم " من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت ".

والمعني لكلمة " كلما " أي كل وقت تشتهي فيه الأكل فتكون ما مصدرية ظرفية، وأما ما في شعب الإيمان كل ما فتكون ما اسم موصول بمعني الذي أي كل الذي تشتهيه.

وفي الحديث عن أبي هريرة[3] (رضي الله عنه) عنه ﷺ أنه قال:" إنَّ الله يبغض كل جعظري جوَّاظ، سخَّاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم أمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة ".

والجعظري: هو الشديد الغليظ، والجواظ: هو الأكول، والسخاب: هو الصخاب كثير الصياح عال الصوت، والمقصود من الحديث ذم أهل الدنيا والمتكالبين عليها، وموضع الشاهد " الجواظ" وهو الأكول وفي ذلك ذم للمسرف في تناول طعامه وشرابه والأحاديث في ذلك الباب كثيرة جداً ونكتفي منها بهذا القدر، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:. " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (الأعراف/٣١).

---

(١) رواه البيهقي في "شعب الإيمان " مخطوط بمكتبة الازهر باب: في المطاعم والمشارب لوحة رقم "٢٤٤" عن أنس بن مالك (رضي الله عنه).

(٢) جمع الجوامع (٥٠٣٦-٢٣٤٠٧) للسيوطي ط: مجمع البحوث الإسلامية.

(٣) حديث حسن: أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٩٧٥)، وأبو القاسم الأصبهاني في" الترغيب" (١٩٢٦)، والبيهقي(١٠/١٩٤) عن أبي هريرة مرفوعاً.

آداب السلف في الثياب

قال أبو الفرج: وقد ذكرنا عن أبي العالية أنَّه قال: كان المسلمون إذا تزاورا تجمَّلوا.

وعن ابن عون عن مُحَمَّد قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً، وقد اشترى تميم الدراي حلة بألف، ولكنه كان يصلي بها.

وعن مُحَمَّد بن سيرين: أن تميماً الدراي اشترى حُلة بألف درهم، وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته

وفي رواية أخري عن حماد بن سلمة عن ثابت أن تميماً الدراي كانت له حلة قد إبتاعها[1] بألف كان يلبسها الليلة التي ترجي فيها ليلة القدر، وفي رواية أخري " فكان يصلي بأصحابه فيها ".

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: وكان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً، وكان الحسن البصري يلبس الجياد.

وقال كلثوم بن جوشن: خرج الحسن وعليه جبة يمنية[2] ورداء يمني فنظر إليه فرقد، فقال: يا أستاذ لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا!

فقال الحسن: يا ابن أم فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية [3].

وكان مالك بن أنس: يلبس الثياب العدنية الجياد[1]، وكان ثوب أحمد بن حنبل يشتري بنحو الدينار، وقد كانوا يؤثرون البذاذة[2] إلى حد. وربما لبسوا خُلقان الثياب في

---

(١) إبتاعها: إشتراها.

(٢) يمنية: نسبة إلي بلاد اليمن.

(٣) الأكسية: لباس الصوف والمقصود ثوب الشهرة الذي يعرف صاحبه بالزهد.

بيوتهم فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا ما لا يشتهرون به من الدون " الثياب الخلقة" ولا من الأعلى.

قيل إن الحسن البصري كان يلبس ثوباً بأربعمائة درهم، وفرقد السبخي كان يلبس المسوح، فلقيه السبخي يوماً(أي لقي الحسن لبصري)، فقال له: يا أبا سعيد ما ألين ثوبك!. فقال الحسن: يافرقد ليس لين ثيابي يباعدني من الله، ولا خشونة ثيابك تقربك إليه،" إن الله جميل يحب الجمال"(٣).

هذا هو منهج الإسلام في اللباس والزينة والطعام والشراب والطيبات من الرزق عامة لا تحريم لما أخرج الله لعباده، ولا إسراف ولا إلتماس لغير الطيبات ولا تحرج من تطلب المتاع الحسن من وجوهه المشروعة، ولا بأس بالتنافس في سبيل التقدم والرقي تنافساً شريفاً من شأنه أن يرفع مستوي البشر ويحقق إلى جانب ذلك سموهم الروحي وكمالهم الخلقي.

فكما رأينا منهج وسطي معتدل لا إفراط فيه ولا تفريط، وليعتبر أصحاب الملذات والقصور المشيَّدة، كم بين المسلمين من يتيم يتضور جوعا! وكم من مريض لا يجد ثمن الدواء! وكم من مسلم لا يجد مأوى أو ثمن الرداء! وليحذروا أن تتحول عنهم هذه النعم إلى غيرهم، كما قال النبي ﷺ:" إنَّ لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم "(٤)

---

(١) العدنية: نسبة إلي عدن في اليمن.

(٢) البذاذة: حسن الثياب.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣٣٣/٤).

(٤)ذكره الألباني في الصحيحة (١٦٩٢)، وعزاه لابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والطبراني في الأوسط، وأبي نعيم في الحلية ن والخطيب في التاريخ، ويحي بن منده في أحاديثه، وتمام في

الإسلام وفلسفة العري

قال الشيخ المدني[1]:.

والواقع أنَّ مسألة اللباس والزينة من المسائل التي إختلفت فيها عادات الناس وأذواقهم، إختلفوا في أصلها، وإختلفوا في مادتها وطريقة لبسها، والذي يعنينا من ذلك هو أن نذكر أن فريقاً من البشريَّة أخذت يؤثرون العُري والتخلي عن الثياب عامة، ونحسب أن البشرية بهذا التقليد في بعض عصور إنحطاطها عندما كان الإنسان كهفياً جبلياً، ثمَّ وجد في الناس من يتفلسف في هذا فيزعمه تخلصاً من التكلف، ورجوعاً إلى الفطرة والطبيعة، ويقول: إنَّ الإنسان يولد عارياً ككل حيوان آخر، فلماذا يتكلف اللباس؟ ولماذا لا يبقى على الوضع الذي خلقه الله عليه كما تبقى الحيوانات الأخري؟.

وهل يجر عليه اللباس إلا تعقيدات هو في غنى عنها لو ألف العري والتجرد؟ وهل جاء التفاوت الطبقي إلا من هذه الإضافات وأثالها إلى الطبيعة المجردة؟.

ومن الناس من يفلسف العري على نحو آخر، وقد بدأ هذا من فكرة الزهد والتقشف والميل إلى عبادة الله بالتجرد، فإننا نري هذا في المتصوفة حيث يكتفون بأيسر الثياب وبأدناها مادة، فيلبسون الصوف لخشونته أو المرقعات لحقارتها والرغبة في إذلال النفس وتعذيبها، فانتقل بعض الناس من هذا إلى التخلص من الثياب كلها زاعمين أن ذلك قُربان وتضحية وعبادة وإمعان في حرمان النفس.

وهؤلاء المشركون لهم أيضاً فلسفة باطلة في هذا كما تدلنا الرواية[1] التي تقول أن المرأة من قريش كانت تطوف بالبيت عارية وهي تنشد:.

الفوائد، وأبي نعيم في "أخبار أصبهان "، وابن عساكر في التاريخ، والضياء في "المنتقى " من مسموعاته بمرو، وقال: فالحديث عندي حسن بمجموع هذه المتابعات.

(١) مرجع سابق (ص/٤٢).

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

ويقولون: نتعرى عند الطواف الذي هو عبادة وقُربة، لأنَّ الثياب التي نلبسها هي ثياب صاحبتنا في معاصينا وذنوبنا، فليست جديرة بأن تصاحبنا في عبادتنا وطوافنا.

نوادي العُراة في الغرب وانحطاط الأخلاق

وفي العالم الأن أقوام يؤثرون العري إما لنشأتهم في بلاد سحيقة بعيدين عن المدينة والتهذيب، كبعض سكان إفريقيا، وإما لمعان زعموها مبررة لذلك، كالذين نسمع عنهم في أوربا وأمريكا من أصحاب نوادي العراة، الذين يتخذون أماكن لهم خاصة فيخلعون الثياب عند أبوابها، ويدخلونها متجردين كما ولدتهم أمهاتهم، ويختلطون على هذا النحو لافرق بين رجل وإمرأة، ولا بين كبير وصغير، وقد سمعنا أخيراً أنهم يحاولون عقد مؤتمر عام لهم في أي بلد من بلاد أوروبا أو أمريكا، يجمع بين أرباب الجنسيات المختلفة منهم، ويقرون فيه مبدأهم ويدعون العالم إليه، ولكن الناس لم يسمعوا إليهم.

---

(١) الحديث يقول: عن ابن عباس ﷺ قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعيرني تطوافاً؟ تجعله علي فرجها وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية " خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ " (الأعراف /٣١)، وهذا الحديث صحيح أخرجه مسلم (٦٠٩/٢) . كتاب التفسير باب: قوله تعالي " خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ "، والنسائي (٢٣٣/٥، ٢٣٤) وفي الحج باب قوله تعالي " خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ " وأخرجه الحاكم (٣١٩/٢، ٣٢٠) بنفس طريق شعبة عند مسلم وقال: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي

القرآن يحارب العري [١]

وقد قضى القرآن الكريم على هذا كله، وأبطل كل إتجاه إليه سواء أكان اتجاهاً إلى فطرية مزعومة، أو إلى فلسفة موهومة، وسلك إلى هذا كله سبيلاً يرجع الأمر فيه إلى أصله منذ برز الإنسان إلى هذه الحياة، وسكن هذا الكوكب، فهذه الآيات جاءت في سورة الأعراف، وقد عرضت هذه السورة إلى الحديث عن آدم وزوجته فذكرت أنه لما حان الوقت لخروجها من الجنة، بدت لهما سوآتهما . أي عوراتهما . فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وذلك يدل على أن طبيعة الإنسان الأول . آدم أبو البشر . تنفر من إكتشاف السوأة " العورة" وعلى أنهما حين كانا في الجنة كان عليهما ما يسترهما، والجنة هي الدار المثلى، فلو كان الأمثل بالإنسان أن يتعرى فيها لكان آدم وزوجه فيها عاريين. ثم جاء في هذه السورة أيضاً قوله تعالى:.

" يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ " (الأعراف/٢٦).

ومعنى إنزال اللباس الذي يواري السوآت، والريش الذي هو زينة زائدة علي ذلك ومتاع فوق السترة: أن الله تعالى هيأه للإنسان، ووجهه إليه منذ القدم، وجعل في طبيعته وفطرته إستحسان وإتخاذه والتفرد به عن الحيوانيَّة البهيمية، تلك المظاهر التي أجملها القرآن الكريم في قوله تعال:. " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً " (الإسراء/٧٠) وجاء الإنزال بمعني التهيئة والتمكين في غير هذا الموضع أيضاً، ومن ذلك قوله تعالى:. " وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ " (الحديد/٢٥)

وأما قوله تعال:. " وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ" (الأعراف/٢٦).

---

[١٨٤] يراجع كتاب الموضة في التصور الإسلامي تأليف : فاطمة بنت عبد الله ، ط: القاهرة ١٤١١ هـ /١٩٩٤ م

فالمراد به تقرير الحقيقة في الجانب الروحي للإنسان، ومقابلة الجانب الجسمي بها، وهو تعبير مجازي أو رد على طريقة المشاكلة إيحاء بأنَّ للناس نوعين من اللباس والزينة، أحدهما: اللباس الحسي الذي يواري السوآت ويبدي المحاسن الجسميَّة، والآخر اللباس المعنوي الروحي، الذي هو أعلى شأناً، وأعظم خيراً من اللباس المادي، وفي كل خير وقد جاء في السورة بعد هذا:.

" يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا " (الأعراف/٢٧).

وتلك إشارة ـ في هذه الآية ـ إلى أنَّ اللباس خير وكمال، ولذلك كان الشيطان الذي هو العدو الأكبر للإنسان، سبباً في نزعه عنهما، وتجريدهما منه، والعدو من شأنه أن يعمل الشر ويدبر السوء لعدوه، وإذن فالشر إنما هو في العري والتجرد .